الفصل الثامن عشر

مـوت أنا ستاسيا

بعد فتح قازان اظهر إيڤان مزاجاً اقل نزوعاً الى الحرب ، فقد ترك للآخرين امر العناية بالقتال دون أن يعرض نفسه للمخاطر . حقا كان الجيش قد ازداد ثقة بنفسه ولم يعد بحاجة لأن يشد في عضده وجود القيصر ولكن من المدهش ان هـذا الفتى لم يعـد متعطشاً للأمجـاد العسكرية . يضاف إلى ذلك ان حـرب ليڤونيا لم تكن حربا مقدسـة وحصيلتهـا لم تكن جليلـة بالنسبة لأمـير كان يقاتل بالصلاة . كان المسيحيون يتقاتلون مع مسيحيين ، فالحرب إذن دنيوية ولها غاية نفعية ولم يكن الأمر يخـرج عن توسيع سلطـة روسيا وهيمنتها الزمنية . ويمكننا أن نفترض بأن القيصر الذي لم يكن يعتبر نفسه قائداً عسكرياً ما كان له أن يلمع في ليڤونيا . ولكنه في المعارك المختلفة التي قامت ضد التتر الغزاة بقي سلبياً أيضاً . فقد خرج مرة أو مرتين على حصانه كما لو انه ينوي قيادة جيشه ولكنه لم يشتبك مرة واحدة مع العدو . أمـا فكريا وعقليا فقد بدا نشيطا إذ كان الإرادة والإلهام وراء ارداتشيف وشيرمينتييف وغيرهما من قواد الجيش ، وفي خلال ثماني سنوات كان يمارس حياة خاشعة .

السبب الأول في ذلك هو ان إيڤان لم يكن جندياً . فالقيصر الذي لم يكن يميل كثيراً للصيد لم يكن يهتم بحيـاة المعسكرات ولا بميادين القتال . ولم يكن دمه القليل الحرارة يدفعه الى المعمعان . والسبب الثاني كان الحرص . فقد كان يحمي مستقبل القيصرة والوريث . فمنذ